ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
Assis-Lecture. Lara Mahmood Jabbar
Wasit University/ College of Education for Pure Sciences
Email :
ljabbar@uowasit.edu.iq

Keywords:
India, Cast system, lower cast, untouchables, Anbdekar.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	26 Jul 2024
Accepted	5 Sep 2024
Available online	1 Oct 2024

Reform movements of the Lower castes in India

A B S T R A C T

The lower castes in India (the untouchables) lived outside the hierarchy of the Indian caste system, under which they were not allowed to practice religious rituals and craft professions as freely as the upper castes. Rather, their work was limited to menial professions, and they were prohibited from entering Hindu temples. The Indian caste system was supported by the British government, as it brought gains and interests to the crown, but the cultural and social awakening, the influence of Western education and liberal ideas facilitated the awakening and growth of social reform movements in India because these ideas broke the rigidity of the caste system and aroused the lower classes in multiple reform movements for Gain social recognition, jobs and political interests for representation in Indian politics.

© 2024 LARK, College of Art, Wasit University

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol4.Iss16.3785

الحركات الاصلاحية للطبقات الدنيا في الهند

م.م. لارا محمود جبار/ جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الصرفة

الخلاصة:

عاشت شعوب الطبقات الدنيا في الهند (المنبوذين) خارج تسلسل النظام الطبقي الهندي الذي بموجبه لم يُسمح لهم ممارسة الطقوس الدينية والمهن الحرفية بكل حرية أسوة بالطبقات العليا ، بل أقتصر عملهم على المهن الوضيعة ومُنعوا من الدخول إلى المعابد الهندوسية، وقد لاقى النظام الطبقي الهندي التأييد من الحكم البريطاني كونه يحقق مكاسب ومصالح للتاج، إلا أن الصحوة الثقافية والاجتماعية وتأثير التعليم الغربي والأفكار الليبرالية سهلت إيقاظ ونمو الحركات الإصلاحية الاجتماعية في الهند كون تلك الأفكار حطمت جمود النظام الطبقي وأثارت الطبقات الدنيا في حركات إصلاحية متعددة من أجل الحصول على اعتراف اجتماعي ووظائف ومصالح سياسية لتمثلهم في السياسات الهندية.

الكلمات الافتتاحية : الهند ، النظام الطبقي الهندي، الطبقات الدنيا، الداليت ، أمبيدكار

المقدمة

بدخول الشعوب الآرية إلى الأراضي الهندية 1800 – 1500 ق.م، عملوا على تميزهم العنصري تجاه السكان الأصليين عبر وضع كتابهم المقدس (الراجفيدا)، وقد رافق هذه الهجرات صراعات فيما بينهم، ووصف الكتاب المقدس الشعوب الهندية باحتقار وأنهم شعوب لا يؤدون التضحيات أو يطيعون وصايا الآلهة. ولم يكتف الآريون باستعباد السكان المحليين ذوي البشرة الداكنة ، بل حاولوا إعادة تشكيل المجتمع الهندي، إذ وضعوا ثقافة جديدة استند عليها نظام طبقي وضع من قبل الآريين والذي ينص على أربع طبقات اجتماعية ، ويسمى هذا النظام باسم (فارنا) والمتمثل بطبقات البراهما، الكاشتريا، فاشيا وشودرا، والتي رتبت بشكل هرمي إذ تقع طبقة البراهما في الأعلى والمتمثلة بالكهنة الذين لهم الحق وحدهم في ترتيل الفيدا وقراءته، وتليها الطبقة الثانية (كاشتريا) ، وهم الملوك والمحاربون الذين وقع على عاتقهم مسؤولية حماية البلاد من الأخطار الخارجية، في حين تقع طبقة (فاشيا) المزارعين في المرتبة الثالثة وعملهم زيادة ازدهار البلاد ودعمها اقتصادياً، في حين تقع طبقة (الشودرا) في نهاية السلم الطبقي وهم العمال وممارسو المهن الوضيعة أدنى السلم الطبقي (الداليت)، والذين منعوا من أي امتيازات ووضعت عليهم قواعد صارمة لمنعهم من أي اتصال مع الطبقات الأخرى فضلاً عن من المفترض عليهم تقديم الخدمات إلى الطبقات العليا (Alanzi 2021: 151).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أن اكبر العلل التي اصابت المجتمع الهندي هو الانقسام الصارم والذي فصل البشر بعضهم عن بعض لدرجة ان قسماً كبيراً منهم كانوا من الطبقة الدنيا والمنبوذين بالنسبة للطبقات العليا، ووفقاً للفكر الهندوسي أن لمسهم وأحياناً حتى ظلهم أو صورتهم تلوث الطائفة الأعلى (البراهما).

يُعد النظام الطبقي في الهند واحدا من الأنظمة الاجتماعية التي تقوم على اساس تقسيم المجتمع الهندي الى سلم طبقي مجحف يعمل على تمزيق وحدة الصف، وهيمنة الطبقات العليا على ما دونها من الطبقات بواسطة استغلالها وانتهاك حقوقها بأبشع صور الاستغلال البشري لجميع مفاصل الحياة المختلفة، فضلاً عن ذلك كان دور الحكم البريطاني في الهند المؤيد لهذا النظام الطبقي لما يحققه من مصالح للتاج البريطاني الذي ساعد الطبقات الارستقراطية المستفيدة من استمرارية استغلال الطبقات الدنيا، إلا أن الصحوة الاجتماعية والثقافية وتأثير التعليم الأوروبي ودخول الأفكار الليبرالية مع وصول الأوروبيين إلى الهند سهلت إيقاظ ونمو الحركات الاجتماعية المناهضة والرافضة للطبقية عبر قيام مجموعة حركات إصلاحية من أجل الحصول على اعتراف اجتماعي وحقوق سياسي أسوة بالطبقات الأخرى.

تناولت الدراسة طبيعة الحركات المناهضة التي أقامها الطبقات الدنيا ضد ظلم واستغلال الطبقات العليا مطالبين بحقوقهم المسلوبة وتحقيق العدالة والمساواة الاجتماعية بواسطة الانخراط بعدة حركات ومنظمات

مناهضة للنظام الطبقي الهندي، بقيادة شخصيات مهمة قادة هذه الحركات الإصلاحية الاجتماعية المناهضة للطائفية أمثال (جوبيتافول، بابا صاحب أمبيديكار، والمهاتما غاندي) فصلاً عن آخرين في جميع إنحاء الهند جميعهم هاجموا النظام الطبقي الهندي ثقافياً واقتصاديا وسياسياً، وأكدوا أن الهندوسية لم تكن دين وثقافة الأغلبية بل كان الدين المفروض على المجتمع الهندي جميعاً، ذلك ما دفع بعضهم إلى اتخاذ هوية دينية جديدة ؛إذ حاول جوبيتافول صياغة ديانة إيمانية جديدة، وحول أمبيديكار إلى الديانة البوذية، كما دعي ناريان كورو زعيم حركة ازهافا إلى دين واحد وطبقة واحدة وأله واحد(Omvedt1994: 12).

استمدت أهمية الدراسة من كيفية تمكين الطبقات الضعيفة والمنبوذة من إرباك النظام الطبقي الهندي الصارم المؤيد والمدعوم من قبل التاج البريطاني، وحصولها على ما تريد من اعتراف اجتماعي وحقوق سياسي.

قُسم البحث إلى المقدمة تناولت الباحثة فيها طبيعة النظام الطبقي ثم ثلاث مراحل تطرق في أولها إلى الحركات الإصلاحية الأساسية للمنبوذين، تلاها المرحلة الثانية تمثلت بالحركات الإصلاحية الثانوية للنظام الطبقي، وآخرها حركات المؤتمر الوطني الهندي السياسية تجاه النظام الطبقي الهندي. وختم البحث بالتوصيات والاستنتاجات التي توصل إليها الباحث.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

استند البحث الى مجموعة أساسية من المصادر والمراجع العربية والانجليزية التي أغنت البحث بالمعلومات المهمة عن النظام الطبقي الهندي وابرز الحركات الإصلاحية الاجتماعية والسياسية التي مرت بها الطبقات الدنيا من اجل إحقاق حقوقهم الثقافية والسياسية وأهمها المشاركة في الأنظمة الانتخابية للبلد والتمثيل السياسي، والتعليم أسوة بالطبقات الاجتماعية الأخرى.

مراحل حركات الطبقات الدنيا الهندية

وفقاً لتقارير التعداد السكاني 1931 بلغ عدد الطبقات الدنيا و(المنبوذين) ما يقارب خمس اجمالي السكان الهندوس، كان لهذه القوة العددية الكبيرة فضلاً عن المعاناة التي يواجهونها في المجالات الاجتماعية والسياسية أثر هام في أن يسعوا إلى تأكيد أنفسهم وهويتهم (Agnihotri 2009: C-187) . فبدأت الطوائف الدنيا ولاسيما المثقفين منهم في الربع الأخير من القرن التاسع عشر بالانخراط في أنشطة مهمة إما لتحسين وضعهم داخل الحركات الإصلاحية للنظام الطبقي أو الإطاحة به كلياً بواسطة حركات إصلاح اجتماعي أساسية وثانوية أو

بواسطة النوع الثالث من الحركات هي حركة المؤتمر الوطني الهندي خاصة تلك التي تحت قيادة المهاتما غاندي (Parad 1982: 169).

أولاً- الحركات الإصلاحية الأساسية: تضمنت الحركات الإصلاحية أمثال بهاكتي (Bhakti)، ونيو فيدانتك (Neo- Vedantic) والحركات التربوية والسنسكريتية:-

1- حركة بهاكتي: تعني كلمة بهاكتي (الإخلاص والمحبة والعبادة)، نشأت هذه الحركة في القرن الثامن الميلادي (الندوي 1970: 118) بين شعب ولاية تاميل نادو جنوب الهند على يد مجموعة من القديسين الهندوس ووصلت الى شرق وشمال الهند وبلغت اوج ازدهارها من القرن الخامس عشر الى القرن السابع عشر الميلادي (Mohamed 2007:243).

وقد عدت حركة إصلاح اجتماعي مؤثرة في الهندوسية ركزت على الفرد بغض النظر عن مذهبه او جنسه، فهي حركة احياء وإعادة صياغة للتقاليد الفيدية القديمة، ودعا القديسون فيها الى أسلوب حياة نقي وبسيط مع إصلاحات اجتماعية في البلاد كون الطبقات العليا ارتكبت كل أنواع الظلم والفظائع ضد الطبقات الدنيا فجاءت تلك الحركة رافضة للطبقية والتمييز للطبقات الأخرى، إذ حاول القديسون والمصلحون من مؤسسي هذه الحركة ان يحدوا من قسوة النظام الطبقي الهندي بواسطة تطهير الهندوسية من جميع الممارسات الشريرة لاسيما تلك المتعلقة بالعادة الطبقية، استجابة للظروف المتغيرة فبدؤوا بسياسة الاختلاط على أساس المساواة وتقاسموا واجباتهم فيما بينهم مع إشاعة روح الانسجام بين مختلف شرائح المجتمع الهندوسي فضلاً عن تقديم الخدمات الاجتماعية للفقراء والمحتاجين من الطبقات الدنيا (Mullatti 1989: 2). فتعد حركة بهاكتي حركة مؤثرة حاولت التغيير بالشكل الرجعي للدين الهندوسي في المجتمع إلا أنها واجهت معارضة قوية من الطبقات الارثدوكسية والملكية.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

2- نيو- فيدانتك Neo-Vidanta: مصطلح يقصد به الحداثة الهندوسية او الهندوسية الجديدة، ظهر في القرن التاسع عشر الميلادي لتمييز التطورات الحديثة في الديانة الهندوسية التقليدية تعرف المفكرين الهندوس على أفكار غربية حديثة فضلاً عن الأفكار المسيحية المتجددة، دفعت هؤلاء إلى الحفاظ على التقاليد الهندوسية وتكيفها مع مناخ الفكر الجديد وجعلها فعالة بواسطة اعتناق قيم دينية وأخلاقية واجتماعية جديدة مطالبين بجعلها جزءا من التقليد الهندوسي، الذي ركز على خاصية أساسية هي القومية ؛ لأنها أساس بناء المجتمع (King 1999:135).

احتضنت هذه الحركة مجموعة من مؤسسات اجتماعية ذات أنشطة إصلاحية أمثال مؤسسة (آريا ساماج)، التي تأسست في عام 1875 على يد (سوامي فيفيكانندا) ، وأصبحت مشهورة ليس فقط بين المنبوذين فحسب

ولكن بين الطبقات المتوسطة ايضاً في ولايتي البنجاب وراجستان. كرست عملها لإزاله الخرافات الاجتماعية في المجتمع الهندوسي ومهمتها تشكيل حياة أفضل للجميع (Sharma 1996:282).

كما ظهرت عدة أنشطة تعليمية وتثقيفية للطوائف المنبوذة، مدعومة من قبل جمعية الثيوصوفية (تتبنى نظام فلسفي ديني وحدة الوجود) التي تشكلت في الولايات المتحدة الامريكية عام 1875 من قبل المؤلفة الروسية (هيلينا بلافاتسكي)، اتخذت من منطقة مدراس في الهند مقراً لها، عملت على رفض الطبقية وسعت الى تعزيز الأخوة لخدمة البشرية وعدم التفريق بينهم (Sharma 1996:287).

وفي عام 1875 أسست جمعية الطبقات المكتئبة على يد المصلح رانجا راو (K.Rang Rao) في منطقة مدراس، من أجل توفير التعليم وتحسين السكن وتوفير مياه الشرب فضلاً عن تمكين الطبقات الدنيا اجتماعياً لحياة سليمة بعيداً عن استغلال الطبقات الأخرى، رافضاً بذلك النظام الطبقي الهندي (Agnihotri 2009: C-189).

كذلك أسهم الطبيب الهندي اتمارام باندورانغ (Atmaram Pandurang) في تأسيس جمعية باراثانا ساماج (Parathana Samaj) في مدينة بومباي للنهوض بالواقع الاجتماعي للطبقات الدنيا فركزت على الإصلاح الثقافي والاجتماعي للمجتمع الهندي مثل تحسين وضع الفئات المضطهدة ووضع حد للنظام الطبقي ومنح المرأة حق التعليم فضلاً عن إلغاء زواج الأطفال، وأكدت الجمعية أن الإصلاح يحاول التعاون مع جميع مشاكل المجتمع ، وليس إجراء إصلاح من جانب واحد (.Mahajan 2009:514).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

3- الحركات السنسكريتية (Sanskritation Movements): حاول العديد من المنبوذين وشعوب الطبقات الوسطى تحسين وضعهم الاجتماعي والاقتصادي في التسلسل الهرمي الطبقي، أي إن تقوم طائفة أو أسرة معينة من الطبقات الدنيا بتغيير عاداتها وطقوسها وطريقة حياتها عبر اعتناق طقوس وتقاليد وأدب وثقافة الطبقات العليا، فيتخلون عن بعض تقاليدهم الشعبية ويتبعون الأعراف والطقوس السنسكريتية للطبقات العليا (.Agnihotri 2009: C-179)، ومن الأمثلة على ذلك ارتداء الخيوط المقدسة ورفض تناول اللحوم والكحول ومنع الأرامل من الزواج مرة أخرى. ففي بعض المجتمعات اتبع الناس من الطبقات الدنيا ليس عادات البراهما فحسب بل عادات الطبقات المهيمنة محلياً مثل طبقة كاشتريا وطبقة فاشيا لرفع مكانتهم، كما هو الحال بالنسبة لطائفة الراجبوت في شمالي الهند التي تميزت بتنوع مجتمعها في الوقت الحالي فيضم اوائل الذين لديهم أنساب ملكية الى جانبهم من كان اسلافهم مستأجرين صغار أو بعض أسر من الطبقات الدنيا اكتسبوا الأرض والسلطة السياسية لتبرير ادعائهم بعد جيلين او ثلاثة بأنهم من طبقة الكاشتريا (لوبون 2014: 104،108). وقد تكررت هذه العملية مع طبيعة حياة طبقة البراهما (لوبون 2014: 125،140).

إن العامل الأكثر أهمية الذي يعيق عملية السنسكريتية هو كراهية الطبقات الأخرى للطبقة التي تسعى إلى رفع مكانتها، وغالباً ما تصاحبها ضغوط سياسية واقتصادية وفي بعض الأحيان آستخدم العنف الجسدي لمنع الطبقات الدنيا من تبني عادات وطقوس الطبقات العليا (Omvedt, 1994: P38).

إن الحركة السنسكريتية لم تضمن مكانة اجتماعية أعلى للطبقات الدنيا ، ولم تحسن من حياتهم اليومية، وهذا يشير إلى أن النظام الطبقي الهندي ظل مقتصراً بشكل خاص على الداليت وأن الجهود المبذولة لتحسين وضعهم الاجتماعي قد رفضت وأحبطت من قبل الطبقات العليا.

ثانياً: الحركات الاصلاحية الثانوية: عدد كبير من هذه الحركات يميل الى التوجه نحو الموقف السياسي الذي أدى احياناً الى اندماجها في حركات مناهضة للبراهميين بواسطة الطبقات الدنيا الأخرى. وقد ظهرت حركات بعضها موالية او معارضة والبعض الآخر مطالبة بانفصال عن النظام الطبقي الهرمي نفسه ، ويمكن ذكر أهم تلك الحركات الثانوية مثل حركة طائفة إزهافا (Ezhavas) المنبوذة في ولاية كيرلا من قبل ناريان كورو(Narayan Guru) الذي ينتمي إلى طائفة إزهافا، ظهرت الحركة في حلول ثمانينيات القرن التاسع عشر، إذ تمردوا على النظام الطبقي وهاجموا البراهما مطالبين بالدخول إلى المعابد واعتناق التقاليد السنسكريتية في بعض عاداتهم مقدمين ادعاء بأن لهم مكانة متساوية مع الطبقات العليا – كطائفة عسكرية – (Agnihotri 2009: C-180.). وبصورة مماثلة طالبت طائفة بالارس (Pallars) في ولاية تاميل نادو (Agnihotri 2009: C-179.). ومن هذه الحركات هي:

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

1- حركة جوتيبا فول (jyotiba phule) واحدة من أقدم حركات الطبقات الدنيا والتي أصبحت الشعلة للحركات الطبقية المستقبلية تأسست في ولاية ماهراشاترا في سبعينيات القرن التاسع عشر على يد مؤسسها المصلح الاجتماعي والكاتب الهندي جوتيراو فول (1827 – 1890) (Uppe, 2022: 156) ، الذي أسس عام 1873 مجتمعاً اصلاحياً أطلق عليه ساتيا سوداك ساماج (جمعية الباحثين عن الحقيقة) لتعزيز المساواة الاجتماعية وتوحيد ورفع مستوى الطبقات الدنيا، كما أكدت الجمعية على أهمية التعليم وشجعت الناس على إقامة حفلات الزفاف بدون كهنة البراهما وفتح بئر للمياه يستخدمه جميع الناس مما يرمز إلى موقفه الترحيبي (Lake ,Encyclopaedia Britannica: Jyotirao Phule 2024) ، أعلن من خلالها الحاجة الى انقاذ الطبقات الدنيا من ظلم البراهما وكتابهم المقدس الانتهازي (Uppe 2022:158). دعت الحركة إلى أنشاء نظام اجتماعي جديد لا يخضع فيه أحد للطبقات العليا، فعملت على إثارة الجماهير وقيادتها إلى مقاومة منظمة ضد الادعاءات غير المعقولة للطبقة الكهنوتية، من أجل تحريرهم من عبودية تلك الطبقات وتوعيتهم بحقوقهم فضلاً عن تثقيفهم فكرياً، ومن أجل حصول الطبقات الدنيا على الاستقلال لابد من الاعتماد على العوامل الثقافية والعرقية بدلاً من العوامل السياسية والاقتصادية، ووفقاً لهذا التحليل لابد ان يكون التعليم والتنظيم وسيلتين

أساسيتين لخلق الوحدة والشعور بالهوية بالعودة الى التقاليد الدينية السابقة للبراهميين وبواسطة ذلك يمكن كسر السلسلة الأيديولوجية للبراهما وخلق مجتمع خالٍ من الطبقية وبكل عدالة (Uppe 2022: 157).

كما ناضلت حركة فول من أجل حقوق المرأة باعتقاد أن التعليم ضروري لأحداث التغيير الاجتماعي ، فأنشأ مدارس للفتيات والأطفال من الطبقات الدنيا. فسرعان ما انتشرت أفكار حركة فول الى طوائف أخرى أمثال طائفة ماراثا، ونتيجة لهذه الحركة شكلت طائفة ماراثا المنبوذة الذين كانوا يزاولون اعمال ميدانية وضيعة في ريف ماهراشاترا حركات مناهضة للطوائف المجحفة فقدموا في عام 1894 التماسات إلى الحكومة للحصول على وظائف في الجيش مدعين بذلك أنهم من طبقة كاشتريا (Uppe 2022:158).

2- حركة (shri Narayana Dharma Paripalana Yogom) ظهرت على مؤسسها الناشط الاجتماعي بادمانابان بالبو (Padmanabhan Palpu) وعدد من المثقفين من طائفة أزهافا المنبوذة في ولاية كيرلا عام 1902 الذين تجمعوا حول الزعيم الديني (Shri Naryana Guru) متبنين مبادئه وفلسفته للعمل ضد عدم المساواة الاجتماعية والاقتصادية والخرافات في مجتمع كيرلا فتبنت الحركة حقوق الطبقات الدنيا بدخولها المعابد معلنةٍ أن دخولها لا يقتصر على الطبقات العليا لذلك أعلنوا حركتهم المناهضة للفكر الهندوسي والتي أدت إلى إلغاء العديد من أشكال التميز في مجتمع (Shaji: 2017: 89-90.; Agnihotri 2009: C-180).

استطاعت حركة SNDPY بتعزيز موقع طائفة ازهافا في التسلسل الهرمي بواسطة نسخ أنماط حياة الطبقة العليا (البراهما) مثل التعليم العالي والمهن المتميزة فضلاً عن إنشاء عدد من المدارس والمؤسسات في جميع إنحاء ولاية كيرلا من أجل توفير تعليم واسع النطاق للمجتمع، كما قاموا بتشييد العديد من المعابد وتبسيط الطقوس العبادية لتلبي متطلبات الناس الروحية المختلفة في تنمية الثقة بالنفس والوعي الاجتماعي والبيئة النظيفة، وقد ساعد ذلك على رفع مستوى التعليم المعاصر والعسكري وبالتالي حققت مطالب الطبقة اجتماعياً عندما حصلوا على القبول في المدارس الحكومية والتوظيف في مؤسسات الدولة ثم التمثيل السياسي (Shaji .(2017: 90.

3- حركة آدي Adi : ظهرت في عشرينيات القرن الماضي طائفة اجتماعية أطلق عليها اسم الداليت (Dalit) والتي تعني المظلوم أو المكسور أو المحبط، وضعت خارج النظام الطبقي الهندوسي، عانت أقسى ظواهر العنصرية والاضطهاد بسبب التسلسل الهرمي المجحف (.Shivan 2019:43). يؤدي افراد هذه الطائفة وظائف متدنية مثل إزالة القمامة وتنظيف المراحيض والحيوانات و دفن الموتى، فينظر لهم بذلك من قبل الطبقات العليا على أنهم نجسون ملوثون ومن يلمسهم يصاب بالدنس والنجاسة (النعيمي2022: 347)

مرت هذه الحركة بثلاث مراحل: الأولى هي الحركة المحاربة لعدم المساواة والظلم والمطالبة بمسار اصلاح اجتماعي ، والثانية منها تهدف إلى تجمعات الداليت للتعريف عن هويتهم الذاتية ثقافياً واجتماعياً بعيداً

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

عما فرضته عليهم الطوائف الأخرى، وأما المرحلة الثالثة من الحركة فتصنف على نطاق واسع متمثلة باحتجاج مشدد ومتطرف للتأكيد عن هويتهم وحقوقهم بالمساواة والعدالة الاجتماعية ، وهي مرحلة اكثر تنظيماً في شكلها ومضمونها تحت قيادة مستقلة عن الأحزاب السياسية، والتي شارك فيها الآلاف من الداليت وساروا لمسافات طويلة من أجل نقل الحركة من شمال الهند إلى جنوبها لتتعامل بشكل مباشر مع قضية النبذ الطائفي للحصول على المساواة والعدالة الاجتماعية (Shivan 2019: 44.).

ظهرت حركة ادي(الداليت) في عدة ولايات من الهند منها ولاية اندرابراديش التي طالبت فيها طائفة الداليت بالحكم الذاتي ومعاملتهم كفئة لا تختلف عن فئات المجتمع الأخرى، أسست من قبل قاداتها في بداية القرن العشرين منظمة كان الهدف الرئيس منها تشجيع إيقاظ الوعي الاجتماعي وإزالة الفوارق الاجتماعية المتمثلة بالتعصب ورفض استعبادهم من قبل فئات المجتمع الهندوسي (Panneeru 2010: 29). كما حاول الداليت في ولايتي تاميل نادو، وكارناتاكا تبديل بعض الممارسات الهندوسية البغيضة بحقهم أمثال زواج الأطفال والنبذ الطبقي لهم ورفض المعاملة السيئة وغير الإنسانية التي عانوها من الطوائف الأخرى (Shivan 2019: 44.).

استطاعت حركة ادي أن تنظم العديد من الفعاليات والاتفاقيات من عام 1922 الى عام 1930 بتنظيم ثماني اتفاقيات وطنية وثلاثة خاصة وخمس عشرة اتفاقية إقليمية ومئات من الاجتماعات على مستوى الولايات حتى حققت مؤتمرها الأول في عام 1923(Shivan 2019:45.). وتعد هذه الحركة مثالا حيا على قدرة الطبقات الدنيا للتنظيم الذاتي الذي لا يمكن المساس به إذ تبنى هذه الحركة قائد الاتحاد والزعيم الدكتور (امبيديكار)[34] - الذي أصبح الشخصية الثانية بعد غاندي بالمطالبة بمظلومية شعوب الداليت في عموم الهند، والذي غالباً ما كان يتحدى ادعاء المهاتما غاندي بتمثيل شعوب الداليت في حركة استقلال الهند- (Shivan, 2019: 46.). فقد اعترف الدستور الهندي (بنص قانون جرائم النبذ لعام 1955) رسمياً بمحنة شعوب الداليت، ومنحهم امتيازات تعليمية ومهنية محددة وتمثيلاً خاصاً في البرلمان الهندي. وعلى الرغم من هذه التدابير إلا أن الانقسامات التقليدية بين المجتمعات الطبقية لا تزال قائمة في المجتمع الهندي (The Editor of Encyclopedia Britannica, Dalit social class 2024)

ثالثاً: حركات المؤتمر الوطني الهندي الإصلاحية

تمثلت بشخصيتين متميزتين مثيرتين للجدل في ثلاثينيات القرن الماضي، حملوا بشكل متزايد خطر مسألة نبذ الطبقات الدنيا الى الشارع السياسي الهندي، احداهما الدكتور أمبيديكار والآخر المهاتما غاندي. الا ان لكل منها طريقا يختلف عن الاخر في تحقيق ذلك المبتغى. فقد عارض زعيم الداليت أمبديكار الهندوسية وتعاليمها التي تهدف إلى التمييز والاستغلال تجاه الطوائف الدنيا (المنبوذين)، معارضاً بذلك إيديولوجية غاندي وإصلاحه

الاجتماعي وشدد على كسر أغلال الشرور داخل الهندوسية؛ لأن إيديولوجية الطبقات العليا لم تكن لمحاربة نظام عدم المساواة ، بل قبول الوضع الاجتماعي والواجبات المهنية لطبقة الفرد، فكانت أفكار غاندي مبنية على فكرة ان الدين في الهند يجب أن يكون أسلوب حياة وان نظام الطبقات (فارنا) موجود للحفاظ على التوازن الاجتماعي في المجتمع.

1- المؤتمر الوطني وحركة هاريجان (Congress and the Harijan Movement) عقدت الطبقات الدنيا في ثلاثينيات القرن العشرين مجموعة من المؤتمرات لكي تفصح عن مظالمها والمطالبة بمكانه لائقة في المجتمع الهندي فعقدت اجتماعات في عموم الهند وتحت رعاية جمعية الإصلاح الاجتماعي في مدينة مومباي عام 1910 لتحسين وضع الطبقات الدنيا فأصبح برنامجاً مشتركاً لجميع المنظمات الاجتماعية والسياسية (.Omvedt 1994: 110). ثم تلتها مجموعة من المؤتمرات الهامة أمثال مؤتمر ماهراشترا عام 1913 وكذلك مؤتمر ناجبور في نفس العام من اجل رفع مكانة الطبقات الدنيا فضلا عن التركيز على بعض الإصلاحات الداخلية والتقدم في التعليم (Agnihotri: 2009: C-180).

لم يكن في ذلك الوقت لدى المؤتمر الوطني الهندي اصلاح اجتماعي في جدول اعماله، الا انه في عام 1917 بعد اول مؤتمر للطبقات المضطهدة الذي تم تنظيمه في مدينة مومباي قدمت الداليت فيه مقترحات عدة دفعت المؤتمر الوطني الهندي الى توجيه قراراته نحو اصلاح المجتمع وإصدار بيان يحث (شعب الهند على ضرورة اصلاح وعدالة واستقامة المجتمع وإزالة جميع الاعاقات التي تفرضها العادة على الطبقات الدنيا) (.Bhauu 2018:970). وبعد عام في شهر مارس 1918تم عقد مؤتمر للطبقات الدنيا في عموم الهند حضره قادة سياسيون أصدروا فيه بياناً مناهضاً للنبذ وفي عام 1921 دعا المؤتمر الوطني إلى إزالة كل متعلقات النبذ والعمل على مساعدة تلك الطبقات في تحسين أوضاعهم، فعَين المؤتمر الوطني في العام التالي 1922 لجنة لصياغة مخطط يجسد التدابير العملية التي يتعين اعتمادها لتحسين حالة المنبوذين في جميع البلاد (Natrajan 1981:347). كما اصدر المؤتمر الوطني مرة أخرى عام 1923 قراراً يتطلب تناول هذه المسألة بشكل جدي وملموس من طريق بذل جميع الجهود لإزالة هذا الشر من جسد المجتمع الهندي، وجعلها قضية كبيرة والعمل بشكل مثمر من اجل توحيد المجتمع. وفي عام 1931 طرحت جلسة المؤتمر الوطني في مدينة كراتشي برنامجاً للحقوق الأساسية دعا الى المساواة بين الطبقات الاجتماعية في الوظائف العامة واستعمال الطرق والآبار والمدارس والمرافق العامة (.Bhauu 2018: 970). وفي النصف الثاني من عام 1932 تمكن غاندي من الوصول الى اتفاق بين الطبقات العليا وقادة المنبوذين من خلال اتفاق بونا (لفتة 2019: 362) والذي بموجبه اعترفت الحكومة البريطانية بمجتمعات الطبقات الدنيا بوصفهم ناخبين منفصلين، حصلت فيه هذه الطبقات على 178 مقعداً في النظام الانتخابي والتي سهلت تمثيلهم في الهيئة التشريعية المركزية بنسبة 18% فضلاً

عن المجالس التشريعية الإقليمية (Shivan 2019: 46.). وفي يوم 25 سبتمبر 1932 اصدر المؤتمر قراراً نصه (من الآن فصاعداً على الهندوس أن لا ينظروا إلى أي شخص على انه لا يمكن المساس به بسبب ولادته، بل أن لهم نفس حقوق غيرهم من الهندوس بما يتعلق باستعمال الابار والمدارس والمرافق العامة والطرق وجميع الخدمات، ويجب على القادة الهندوس ان يؤمنوا كل الوسائل المشروعة والسلمية في إزالة جميع العقبات امام المنبوذين خاصة فيما يتعلق بدخول المعابد) (Coward 2003: 57). ولد هذا القرار نشاطا معاكسا من قبل الهندوس يخص دخول المنبوذين للمعابد في مناطق مدراس ومومباي (Agnihotri 2009: C-181).

نتيجة لذلك أطلق المهاتما غاندي على المنبوذين شعار (هارجان) والذي يعني أبناء الله (لفتة 2019: 360)، ويرى بعض الباحثين أن (هرجان) مخلوقون من قبل آلهة أخرى غير آلهة البراهما (الطبقة العليا) وأن الدم الآري لايجري في عروقهم وهم سكنة الهند الأصليون (الدرافيديون) (الماجدي 2019: 204). تهدف الحركة إلى دمج المنبوذين في المجتمع الهندوسي السائد عبر إلغاء ممارسة النبذ ومنحهم إمكانية الوصول إلى المعابد والمدارس والمرافق العامة الأخرى، كما أصدرت الحركة قرارات تدعم رفع المستوى الاجتماعي للمنبوذين وإدراجهم في النضال من أجل الحرية الوطنية (Kamble 1979: 182) كما انه أسس في عام 1933 مجلة هاريجان الأسبوعية تقوم بنشر قوائم من المعابد والابار والمدارس المفتوحة للمنبوذين وتتحدث عن اعمال إنسانية، كما أعلن غاندي (أن عمل الرفاهية للمنبوذين هو كفارة يجب على الهندوس القيام بها من أجل خطيئة النبذ) (Chakrabarty 2006: 116-120) وبعد الاستقلال عام 1947 كتب المهاتما غاندي في مجلة هارجان ("الهند الآن حرة" بعد أن تم رفع عبْء الخضوع لابد من حشد كل القوى أذا كانت جيدة في جهد واحد كبير لبناء دولة تتخلى عن أسلوب العنف المعتاد من أجل تسوية الصراعات الإنسانية) (Rao 1992:179.)

عملت حكومة المؤتمر الوطني الهندي على مدى عامين في مقاطعات عدة منذ عام 1937 بشكل مستمر في رفع مستوى الطبقات المحبطة، إذ قام غاندي بجولات هارجان في جميع أنحاء البلاد لرفع مستوى التعليم وحشد الدعم للحركة الاجتماعية ، فأعلن في مدراس ومومباي برفع الحضر عن الدخول الى المعابد، وتقديم التعليم المجاني في الصفوف الابتدائية (Bhauu 2018: 968.; Rao 1992 : 184).

كل هذا على مدى طويل ساعد على نشر الرسالة القومية الى جميع الطبقات الشعبية للمجتمع المضطهد، إذ حصل المؤتمر الوطني على دعم كبير من فئات الهارجان في أجزاء مختلفة من البلاد، وبالرغم من كل هذه القوانين كان هناك الكثير من المتطرفين الذين رفضوا دخول المنبوذين الى المعابد والمدارس ومزاولتهم للحياة الطبيعية، حتى شعر المنبوذين ان هذه القوانين عبارة عن محاولات جزئية ، ولم تكن حركة اصلاح اجتماعي شاملة.

2- حركة الطبقات الدنيا او المكتئبة (Depressed classes Movement) بقيادة الدكتور أمبيدكار (Bhimrao Ramji Ambedkar).

إن التحدي الأكبر الذي واجهته حركة هاريجان للرعاية الاجتماعية بقيادة غاندي جاء به الدكتور أمبيدكار الذي ينتمي إلى طائفة ماهار المنبوذة، إذ كان برنامجه يهدف الى دمج المنبوذين في المجتمع الهندي بطرق حديثة قائمة على التعليم وممارسة الحقوق القانونية والسياسية فضلاً عن رفض أداء واجبات الطبقات الأخرى المهنية (.Omvedt 1994:109).

انتشرت حركة امبديكار في عموم الهند رافضة وبشكل قاطع جميع اشكال العبودية الاقطاعية المفروضة على الطوائف المنبوذة شملت حملات جماهيرية وكسر قيود طبقية خصوصاً في مسألة دخول المعابد، وارتداء اللون الزعفران الممنوع على الطبقات المتدنية (Coward 2003: P 46). إذ أطلق امبيدكار حركة نبذ رئيسة في عشرينيات القرن الماضي في ولاية ما هاراشترا، وفي عام 1924 أسس امبيدكار معهد الفئات المضطهدة في مدينة مومباي (Bahishkrit Hitharini Sabha) كان هدفها جلب الثقافة والتعليم للمحرومين. كما عمل في ديسمبر عام 1927 على تأسيس حقوق المنبوذين في سحب المياه من الابار العامة والخزانات فضلا عن تنظيم حركات دخول المعابد مثل معبد بارفاتي ساتياغراها عام 1928 ومعبد كالاسام ساتياغراها من 1930-1935(Narain 2021: 109).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

برز امبيدكار بوصفه زعيما سياسيا للطبقات الدنيا مطالباً بضمانات دستورية لهذه الطبقات المضطهدة فضلا عن ذلك أسس في عام 1942 اتحاد الطبقات المضطهدة للمطالبة بحقوقهم في الدائرة الانتخابية مع استمرار المطالبة بحقوق المنبوذين، وبهذا يعد المدافع الأكبر عن حقوق الطبقات المنبوذة وواحدا من مؤسسي الدستور الهندي 1949 وأول وزير للقانون والعدل في البلاد بعد الاستقلال من الاحتلال البريطاني 1947(Omvedt: 1994:113. لفتة 2019 :365).

أن ما فعله امبيدكار في سن قوانين الدستور ترفض التميز الطبقي ونبذ الطبقات الدنيا ؛ إذ ذكر ذلك قائلاً (أنها قضية ليس لها علاقة بالسياسة، فالسياسة لها مكانتها... فما نواجهه الآن هو فقدان ام لأبنها) (Narain 2021: 28). كما اعتقد امبديكار (انه إذا لم يتم معاملة الطبقات المنبوذة على قدم المساواة داخلها فان الديمقراطية السياسية ستكون عديمة الفائدة) إذ نجح نوعاً ما في تحجيم التميز العنصري وتم اعلان حقوق المنبوذين في التعليم وفرص العمل، لكن عام 1951 قدم امبيدكار استقالته من عمله معلناً فشله في الإلغاء النهائي للنظام الطبقي الهندي بسبب التأثير القوي للتقاليد الدينية الهندوسية. حتى انه عام 1956 نبذ الديانة الهندوسية مع 200,000 من الداليت واعتنق البوذية (لفتة 2019 :367.).

لكن السياسة لا تزال جزءاً من المشاكل التي أبرزتها هذه المأساة، إذ كان اول رئيس وزراء للهند جواهر لال نهرو يأمل أن يتلاشى هذا الوعي الطبقي الطائفي بعد الاستقلال، لكن حدث العكس كون الطبقات الطائفية تشكل تعريف الذات ففي الدورة الانتخابية يدلي الهنود بأصواتهم إلى طبقاتهم الاجتماعية فإذا أرادت الهند أن تقضي على التمييز العنصري بين طبقاتها يجب عليها تجاوز سياسة الهوية والتركيز على التقدم على نطاق واسع رغم التحديات الاجتماعية والاقتصادية.

الخاتمة

ظل التصور السيئ للحكم البريطاني سببا لاضطهاد النظام التقليدي ثابتاً، ولم تخلق الحركات المناهضة للطبقات العليا خطه قومية مستقرة أبداً, وقد اختلفت هذه الحركات الإصلاحية في قوتها من منطقة إلى أخرى , ففي ولاية ماهراشاندرا أنشاء جوبيتراو فول هوية مشتركة جديدة للطبقات الدنيا لكنها لم تصل أبداً إلى المنبوذين في مدينه مدراس.

صنفت فئة المنبوذين في الهند والتي يطلق عليها الداليت أو هاريجان خارج التصنيف الطبقي للمجتمع الهندي وهذا نابع من ديانة الهندوس وثقافتهم، يزاولون المهن المتدنية، ويمنع دخولهم للمعابد ، والسبب بهذا التميز في قانون كارما الإلهي هو التمييز الطبقي الآري ذوي البشرة البيضاء عن ذوي البشرة الداكنة (الدرافيديون)، إذ يعتقد أن الأرواح الشريرة المقترفة للآثام في حياتها الأولى تتناسخ وتتجسد في أجساد المنبوذين الى جانب ذلك يشير المعتقد الهندوسي الى ان رؤية احد من المنبوذين كافية لتلويث من يراه من الطبقات الأخرى.

نتج عن هذا الاعتقاد توارث الفقر والتعاسة لهذه الفئة المضطهدة (المنبوذة) وزاد من معاناتهم وهذا امر طبيعي لا يجب تغييره إرضاءً للآلهة وفق الفكر الهندوسي. لكنهم بعد ذلك عملوا باجتهاد لتغيير أوضاعهم الاقتصادية والمعيشية بإقامة مجموعة من الحركات والتمردات ودخولهم للتعليم وحصولهم على مجموعة من المناصب اهلتهم للدخول الى المؤتمر الوطني الهندي والمطالبة بحقوقهم المشروعة، وبالرغم ما بذلته الأحزاب السياسية المختلفة من جهود في التقرب لكسب الداليت حقوقهم في الممارسة المجتمعية لكنها تقريباً لم تتغير كثيراً وما زالت الفوارق الطبقية راسخة وبقوة في المجتمع الهندي.

هكذا كانت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهور ميول عدة لقيام الطبقات الدنيا ببعض الحركات المناهضة للنظام الطبقي الهندي محاولة للحصول على معيشة أفضل وإعطائهم الحقوق في النظام السياسي الهندي.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

المصادر والمراجع العربية

1- الندوي، محمد اسماعيل (1970): الهند القديمة حضاراتها ودياناتها، القاهرة.

2- لوبون، غوستاف (2014): حضارات الهند، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة.

3- النعيمي، عامر علي (2022): نظام الطبقات في الهندوسية وأثره على الهندوس وموقف كل من البوذية والإسلام منه، مجلة العلوم الإسلامية الدولية، المجلد السادس، العدد الثالث.

4- لفتة، خولة طالب (2019): المنبوذين في المجتمع الهندوسي حتى عام 1956، مجلة نداء الهند، العدد 38.

5- الماجدي، خزعل (2019): الحضارة الهندية، لبنان.

المصادر والمراجع الانجليزية

1- Shivan, Bhawna (2019): Discourses of Identification and cultural Distinction: an overview of "Adi movement" in colonial India, IJHSSI, vol:8, Iss:3.

2- Chakrabarty, Bidyut (2006): social political thought of Mahatma Gandhi, London.

3- Omvedt, Gail (1994): Dalits and the Democratic Revolution, New Delhi.

4- Coward, Harold (2003): Gandhi, Ambedkar and Untouchability, Harold Coward(ed), Indian Critiques of Gandhi, New York.

5- Alanzi, Hussein H. (2021): Ancient India Varna and Jati "Advantages and Faults", Journal of the College of Education for Human Sciences, Wasit University, Part 12, Issue 47. https://doi.org/10.31185/eduj.Vol2.Iss47.3034

6- Sharma, L.P. (1996): History of Modern India, New Delhi.

7- Parad, L. (1982): Modern India 1754-1947, New Delhi.

8- Mullatti, Leela (1989): The Bhakti movement and the status of women (case study of Virasaivism), New Delhi.

9- Mohamed, Malik (2007): The foundations of the composite culture in India , Delhi.

10- Kamble, N.D. (1979): Gandhi and scheduled castes, in Das and other (ed), Gandhi in To-Days India, New Delhi.

11- Cyriack, Pullapilly (1976): The Izhavas of Kerala and their Historic struggle for acceptance in the Hindu society, in Smith, Bardwell, ed, Religion and social confleet in south Asia, Leidin.

12- Panneeru, Ramesh (2010): Telangana Armed struggle, Hyderabad.

13- King, Richard (1999): Orientalism and Religion (Postcolonial theory, India and the Mystic East), London.

14- Natarajan, S. (1981): Political and cultural History of India, Vol: 2, Hyderabad.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

15- Shaji. A (2017): Politicsation of cast relations in A Princely state "communal politics in modern Travancore 1891-1947", New Delhi**.**

16- Uppe, Shivakumar V.(2022): Major socio-Religious reform movements in India, Mahrashtra**.**

17- Bhauu, Tabasum (2018): Emancipation of Dalits in Pre-independence India, IJCRT, Vol:6**.**

18- Britannica, The Editors of Encyclopaedia (2024): "Dalit". *Encyclopedia Britannica*, https://www.britannica.com/topic/Dalit. Accessed 1 August 2024.

19- Lake, Timothy (2024): "Jyotirao Phule" (Indian social reformer and writer). *Encyclopedia Britannica*,https://www.britannica.com/biography/Jyotirao-Phule. Accessed 1 August 2024.

20- Mahajan, V.D. (2009): Modern Indian History from 1707 to the Present day, New Delhi**.**

21- Agnihotri, V.K.(2009): Indian History, New Delhi.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية